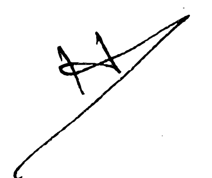
علي الجندي



الشمس وأصابع الموتى




الجندي
للطباعة
والنشر

الشمس وأصابع الموتى

علي الجندي

... إلى كل الذين استشهدوا

على الأرض العربية ..

وإلى كل الذين لمّا يستشهدوا بعد !...

غسان

الرؤيـــا والرعـــب !

... يا قشرة هذا الليل المتقع الألوانْ
السائل في ثدي الصبح المحزونْ
أيقظني صوت الديك المحتضر المجنون ..
فتذكرت الخوف النازف ما بين الأجفان !
و .. حملتكِ في قارورة أصواتي الليليةِ
أبكي بقوافيك وأستجدي الأحزان
ورحلت على آهتك الحيرى
فوصلت إلى جزر قد خلّفها الطوفان ..

تلتمع حجارتها بالدرّ وبالمرجان
لكنني مذ وطئت قدمي الأرض ، شعرت بأنّ
العالم قفرٌ ، قفرٌ ،
لم ألمح حولي ظلاً للإنسان ؛
في كل مكان :
سُرُر ومقاعد خاليةٌ
وموائدُ متفرقة خاويةٌ
تتثاءب أكؤسها ،
والزهر يهوّم في حزن وسنان ،
أوراق الأشجار اسودّت
فكأنّ رياحاً من نارٍ قد مرّ عليها جانحها
وسمعت أزيز الجانْ
... في كلّ مكانْ

راودني طيف يغريني ،

أو ساورني خوف وحنانْ

.. وعدوت أحاول أن أهرب من ظلي ،

أو من خوفي ، أو من ضعفي ،

لكني راوحت مكاني ، وشعرت بأني تخذلني القدمان

في الأرض تغوصان

في رملٍ رخوٍ ، في مستنقع رملٍ لا يثبتُ

يتلوى حريًا ، ناريًا ، ممتلئًا أشواكًا .. ديدان

حاولت السير ، نهضت ، صرخت ،

استنجدت بآلهة الأوزان

ونهضت ، نهضت ولكني

زلقت قدمي ،

فسقطت على شاطئ بحرٍ قرميديٍّ غضبان

والرمل يحرّق جفنيّ، ويملأ مجرى نفسي
لكأني أقضي في أرض لا تعرفني،
تنكرني، تتقمصني من خلق الإنسان؛
.. عصفت ريح شبّت أمواج فاقعة الألوان
قعقع رعد، مزّق وجه الأفق البرقُ،
وغصّ الجو بغيث مندفق هتان؛
يا رب الماء العاصف أنقذني،
يا ريحُ احتمليني،
خذني يا جنح الآم إلى أهلي ..
خذ بيدي يا شعرُ،
دعيني أتوكّأ يا قافية عرجاء على كفّكْ ..
قومي يا شمسُ من الظلمة،
بدّد يا وجه القمر الليلَ،

وأسكت، أسكت يا أفقُ الأصوات الغضبى
أوقف عصف الريح المجنونة ... يا رب الأوزان!
.. الشبح الأسود يحمل سيفاً،
تقدح عيناه شراراً،
.. ها هو يقبل نحوي ويحوّم حولي سكرانْ ..
.. ما عدت أطيق الرعبَ،
أريدّ الصحو،
أموت على شربة ماءٍ صافيةٍ ..
أتراني سأقضي وحدي ظمآن
... آهٍ، الصحوَ، الصحوَ، الفجر، البريّةَ،
آهٍ، عشبًا، صيفًا ..
يا .. رب الأوتار أغثني،
ألبس أشواك العاصفة،

وسرّح في الجو ضباب .. الألحان ...

* * *

و .. أفيق على شرفة دنيا ساكنة

الصمت إله منشور في كل مكان ؛

الجو أصمُّ ، ولا يتحرك في المشهد شيءُ

والشمس مجمدة صافنة من غير أشعّة ،

والشجر الواقف : لا نأمة

الأرض ، ووجه الأفق ، وحتى الشمسُ ،

وأوراق الأشجار يغلفها لون أربدُ آجريٌّ

أجوفُ ... وذهول يحبس أنفاس الأشياءِ

ويخرس حتى تمتمة الغدران !

.. أهو الموت ؟ الموت ، الشط الآخرُ ؟!

يا .. قدميْ ارتطمي بالصوت ،

أفيقيني ياكفني ..

انجرحي بالحجر ..

و .. لا أسمع صوتي ،

لا أتحركُ ؛

إني تمثالٌ طينيٌّ .. مصلوبٌ في الشرفة وحديْ ،

مسحوب مني روح الإنسان ؛

.. وسريعًا تنطفئ الشعلة في قَلْبِي وجسمي

أغدو تمثالاً من حجر صوّانْ !!

الحجر .. والماء

.. لا تطفو روح الأموات على سطح الماءْ ،
ليست هادئة أنفسهم خلف حجاب الماء ؛
تبدو لي أعينهم فارغة مندهشة ،
وشفاههمُ قاتمة زرقاءْ
تبدو الأسنان ملوثة هشة
تطفو بعض الأنياب المهترئة
تسبح فوق أظافر صدئة
.. ويظل يلوح الماء على البعد نقيا

البحر يظل له عمق وعيون شبقة
البحر يحنّنا ، يترنّح ، يحمل سرّاً مطويا ..
الأسماك الصفراء ، السوداء الناعمة الزلقة
مهما حاولنا إمساك حراشفها
نفشل ،
فهي تروغ ، تواثب ، تسبح تحت الماء ،
وفوق الماء ومن بين أصابعنا تتسرب ،
تتوارى بين الأمواج العشبية
تدخل في ثقب صخريّ ،
تمرق من عين في جمجمة منسية !!
لكننا لا نبحث في الماء المالح عن سمك طيار ،
إننا إذ نلقي بالسنارة في الماء فحتى تعلق
في قافية موتية ..

أو حتى تتشبث بالفكرة وهي تنوس بعيداً في
الأعماق العتمية ...
أو حتى تترمد في القاع المظلمة الأشعار !
.. هذا البحر الماثل للأعين ليس الماء
هذا ألوان مازجها ملح ،
ذوّبها فنان مهووس كي تحرس كنزاً فنيا
كي تخفي سر بلادٍ غاصت في الأرض بما فيها ،
وتظل دليلاً للشمس يجنّبها الأنواء
ولكي نحلم ، أو نبكي ونصلي ،
أو نرغب في أن نرحل فيها ،
أن نبني قصراً عند شواطئها ، بيتاً سريا !.

*   *   *

يا بحراً ،

يا لونًا ممزوجًا بالأعين والأنفاس العاشقة

ويا قبر الأشواق

حدثنا عن تلك المدن الشائكة المائية

عن سر الأعماق

عن عاشقة - قالوا - طفلة

كانت تولم في عينيها الضاحكتين

للفجر الخمري المحزون

كانت تزرع في ليل غدائرها فُلّة،

حدثنا كيف تنام الآن قريبًا من نبع الأحداق

متجلدة تنبت بين أصابعها الأعشاب بلا أوراق

تمرح من عينيها الأسماك الذهبية

هل مازالت تنتظر هناك مواعيد العشاق ؟!

وتحملق في ذعر بالعينين الفارغتين الى النار الوحشية ؟!

.. انهض من قاع الهاوية الوهمية يا راوية الأحزان
أكلت شفتيك الكلمات الهمجية واستشرى
في جلدك وخز الأحرف ، لذع الأوزان
لوّن أفقك بالبحر القزحي وبالشفق الزاهي ،
أقلعْ عن تسويد رؤاك ، وهادن نفسك ،
روّح عن دفترك المفتوح على الليل ،
وشرّع صدرك للإيمان
حدثني يا ليل الريح المهووسة ،
صف لي أعماق الغابة ، أغوار البحر ،
ارسم لي لوحة من غابوا تحت الماء المالح ،
قل لي ما شأن اللحظة في دنياهم ،
اخبرني كيف اقتتلوا كي يصلوا لكنوز القرصان ؟!
... كانوا ، كانوا .. وتجلدت الأحرف في «صاروا»

قد صاروا صوراً جامدة ، اجساداً ..
من طين مشويٍّ ودخان
ما بين شفاههمُ ، في حفر عيونهمُ
عششت الديدان
بعضهم يده مازالت تمتد بسيف ،
قد صار الآن بقايا شيء مهترئ ، صدىءٍ
نبتت في خديه حراشف ،
أعشاب آسنة ..
والبعض يضم حكايته المهجورة ،
وينام على حلم .. ظمآن ..
قل لي يا سيف القدرة ماذا حل بكنز القرصان ؟
حدثني عما ضم الكنز من اللؤلؤ والمرجان
أين هو الكنز الآن ؟!

... الكنز ..، الكنز حديث إفكٌ،
الكنز الضائع وهمٌ ... كذبة نيسان !!
لكن، لو لم يوجد كنز، كان اخترع الناس
الكذبة، حتى يورد، يلمع لؤلؤة في أعينهم
حتى يقتتلوا فيدمّر تمثال الصلصال،
وتخنق فيه .. روح الإنسان !!



المطر والخوف

... يكسونا مطر الشهر القادمْ ،
يتسرب حتى عقد الأعصاب ، ولا يترك ذكرى غافيةً
إلا ويفلّيها ويغرّقها بالعرق النادم !
لا ثلجَ يمازج هذا المطر الشفقيّ
وليس لنا من حطب الغابة ما ندفئ
في وجه أغانيه الريح الداهم ؛
.. وتظل خيوط الماء تسوّرنا ،
وتغطّينا وتداهمنا في صمت ليالينا الفاحم ..

.. المطر صديق العشب ، رفيق النهر

الذاهب في صمت نحو البحر القاتم !

والمطر يعرّينا من أثواب الصّيف ،

يعلّمنا أن نمحي ما فينا من أحلام ، أو أفكارٍ

تحت الجلد ، ونبني كوخًا من خشب

النوم نوافذه ،

والسقف حديد لا أدري ،

يتحمل غضب العاصفة ، ويحمي الثلج بقلب راغم !

* * *

... يا مطر الساعات المدفونة تحت الطين

أغثنا فالريح شمالية !

وكهوف الليل السرية

تتلقفنا ،

تؤينا من غضب الأرواح الشاردة خلال الساحات
الخلفية ...
يامطراً ، يافيض شآبيب الرحمة
بلّل أعين أحباب ليالينا الشتوية ..
آمنا يامطر الميلاد ويا غيث الموت
المنقذ أن العيدان اليابسة
تآلف كي تبني جسراً للحرية ،
أيقنا أن النهر الذاهب في الليل
ملاقٍ مهما طال المجرى بحره
وخطونا نحو الموت والكأس دهاق
وشفاه الجنيات تروّي ثغر المسعور
البائع في سوق النخاسين الأسود فكره
والعاطي للفجر المتواري عمره

... آمنا بشرا بيبك يا مطر الأيام الصيفية ..
وعشقنا صوتك ،
غنينا شهوات الصحراء على ايقاعك
فوق زجاج نوافذنا الغربية
صلّينا من أجلك يا محيي الزرع ،
وتبنا عن كل خطايانا ..
كي تروي أرض تعاستنا الغيبيّة ،
لكنا نحصد مما رويت الشوك ،
ونحسو الصاب ، نسفّ الرمل ،
ونسعل فوق مناديل اللهفة
والحب دمًا
نبكي بدموع ملحيّة !!
... المطر يداهمنا ،

يغرق ساحات بيوت الصمت الخوفيّ
وتحفر أغنية الميزاب بأفئدة الأطفال
طريقًا للذعر ،
وينقر وكف الكوخ المتواصل أعين موتانا العظمية !!
يا مطر الأيام المقبلة ، الماضية الصحراوية ..
أيقظت جذور ليالينا الموتية ..
روّعت الأغصان العجفاء ،
زرعت على أكتاف تماثيل أمانينا الصخرية
شوفانًا مسحوقًا وأكاليلاً شوكية ..
.. ماذا يبقى لغد يا مطر الآبار العلوية
لربيع نرقب في جوع آذار روابيه الزهرية ..
.. ماذا يبقى إن لم تترك للصحو هنيهات
تجلوها شمس ذهبية ؟!

ماذا يبقى؟ ماذا؟ ماذا؟ ...
لن يبقى غير التبن ،
يدوّم في تيه الصحراء الشرقية !!

منحـــدر السّاعات الأفقيـــة !

... تنفجر الصرخة في قلبي .. في صمت الليل

فألملمها ، وأداريها ،

ووحيداً يا صحبة كأسي الباكي

أتجرع كل الويل !..

وأهيل على أشواقي القمرية ناراً ورماداً

وأكفّن أفكاري بالأوراق الصفراء المشويّة

وأعود وحيداً في صمت المقبرة السريّة ...

أتنهد أنغاماً باردة ،

أشعل حبراً وحروفاً جامدة ،
أتعاهد مع كلماتي الطفيلة ..
أمضي في الدرب الملتوي ،
أوغل في غابات الكيف وماذا ،
أتمدد تحت سماء مقفرة ،
ترنو لي أعينها منذرة
في دهشتها الأولى الغيبية ..
أنكمش على نفسي في ذعر ،
أرتعد من الخوف المجهول ،
تفاجئني عين في الظلمة حمراء تتوعدني ؛
و .. أحس دبيباً تحت الأرض ،
تميد الأرض كأن بوادر زلزال تتوعدها ،
ينفغر أمامي شق ،

تتصاعد منه أدخنة ولهيب ،

يتواثب ، ثم يفيض سيولاً من نارٍ ماجنة تأكل مجراها

تحتوه الغابة ،

تهوي الأشجار رماداً ،

تتقصف أجنحة الصخر المتحدي :

[يا أرض ابتلعي نارك ...]

يمتلئ إهابي بهباب النار ،

أحاول أن أختنق ولكن

دخان الأشجار المصهورة يملأ صدري ..

يتسع الشق المزبد بالنار

ويقذف بالماء الناري ، وأحجار ذائبة

وخيول وحشية ..

تندفع من الشق رؤوس تتصهر خلال المد اللهبي

عيونٌ تنفقئ ، تنشّ ،

زعيقٌ يثقب سمعي ،

صرخاتٌ تستنجد بالصمت ،

تئزُّ عظامُ ،

تموّج في المجرى الوحشيّ لأدمع مثل الموسيقا البحريَّة

تتدافع أنغام مزبدة ،

تتواثب أذرع حيوانات مائيَّة

[و .. غيض الماء فأطعم يا رب الغيث السّحب ..]

تعرت كل الأرض حواليَّ من الصمت

أنا المصلوب على صخرة صمتي الليلية ...

وحدي المصلوب على كرسيٍّ يسع الدنيا ،

كرسيٍّ من خشب الكلمات المطفيّة ! ...

*   *   *

... هأنذا أحمل شلوي ،
أتدحرج في منحدر الساعات الأفقية ...
هأنذا أرتطم بأمواجي الخافقة الصوت
أفيق على نهري البحري ، المتثائب
في وجه الأشباح الشمسية ...
هأنذا أرتفع على درج نورانيّ
أختنق وحيداً في الظلمة
قدّام الفيض الناريّ لأحشاء الأرض العلويه ،
هأنذا ...
هأنذا أحتضر أمام القدرة ،
أُنزع عن مرآتي الخضراء ،
أواري في كهف الأوراد السرية ...
هأنذا أرتد الى العمر الأرذل ،

أصغو للوحشة في الكهف المسكون بأرواحي الشعريه ..
والنار .. ، النار تهاجمني ،
ترجمني بالأذرع والأعين والكلمات المطفيّهْ ؛
أتراي سأختنق هنا وحدي ،
في هذي الأرض الوحشيه ؟!

« عطشان يا.. صبايا ! »

... أشعر أني لم تروَ خلايايَ الليلةَ
من قاموس الجسدِ ،
أشعر أن قميصي لم يبتلّ بأسلاك الزبد ...
أني منفيٌّ عن نفسي ،
أتحسس في الظلمة شفتيَّ بأظفار يدي
أسجن هجسي !
أبتر أعناق هواياتي ،
أتقنّع بالخمرة والتبغ ،

أداري خوفي بالسهر المحطوط ....
وأستعجل طب الساعة ..
أن يحتمل بقائي معه في غرفة شوقي المستعرة ،
أتناول من دفتري المغبرّ حكايةْ ،
أتثاءب في وجه الموسيقا الضجرة ..
... وأعاود تفكيري بالظمأ الناغل في جسدي ،
أتساءل والساعة بعد الثالثة عن الأصحابْ ،
أتجسس في الليل عليهم ...
أين همُ الآن ؟!
أتلمس آثار خطاهم فوق ظلال
أزقة هذا الصمت البارد
وأهوّم في وقفتي العزلاء
على كل المنعطفاتْ

أمتدّ وراء الهمسة كالمرتابْ ،
أقفو أثر الوجه الشاردْ
أتلاعب بالألفاظ ،
بوقع الوسن الرنان ؛
[... يا أهلي ، يا زُرّاع الزمن الملعون
لم يبق لنا في هذي الأرض العاقر مأملْ ،
جفت أضرعها هذي التربة يا أهلي ... غار الجدولْ !
خاف الجدول ،
غني ، رندح ، لولب ،
.. غاض الجدول
فلماذا نزرع أغنية في هذا الحقل المأفون ؟!]
.. والوجه وراء الصوت تولول ،
الوجه حواليّ : تَلُفُّ ، وتركض من زاوية نحو الأخرى

الريح ظلال وأرانبْ
الريح تجارب ،
تكنس أرض شكوكي من كل الورد الأصفر
تتسرب تحت ثيابي ... أعرى !
ترشقني بالكلمات فأكفر
و .. تقود خطاي إلى مقبرة تحت الأقواس الحجريةْ
ما فيها غير بقايا قبر ومقاعد ورقيةْ ..
أهتف بالميت المتجلد تحت الحجر المرتعد :
أَنِ انهضْ ياموتْ ،
فيردد صوت الريح الصوت :
- أتراجع خطوةْ
أتقدم خطوةْ ، -
ياميّت قم من موتك

يا حبيّ تحرّك في خوفي
أنقذني من خوفك ؛
... وتصوّت كل الأشياء
تتنادى كل الجدران بصوت واحدْ :
تتهاتف كل الأجراس العالقة بأضلاعي
وتعدّد ألوان الأسماء
وتعود من الأفق الأصداء :
واحد ، واحد ، واحد !!
وفجاءة ،
أسمع مثل أزيز سريّ
ويقفّ الشعر على رأسي
وأرى وجه الموت المشويّ :
.. هذا ولدي ،

هذا وجهي ،
هذا طيارمن إخوة حزني ،
ذاك رفيق يعرفني يطلب دفني !
.. وأهادن خوفي ثانية :
أتنصّت لوجيب القلب فأعرف أني حيٌّ ..
.. إبتعدي يا ريح الليل الثلجية ،
ذرّي في عين أحبائي العظمية
قطرة دمع من عين أحبائي الضوئية ..
« عطشان يا صبايا .. »
دمعي لا يطفي شفتيَّ ..
... أما الموسيقا يا روّاد القمر النازف
فالموسيقا عربات
تحمل من كل بلاد الناس إلى الناس حكايات

تحمل لي موت الكلمات !.

تقرع صدر الشارع دوماً نحو القبر المتهدم

تبتعد، فينطفئ الصوت، و.. روح الصمت تخيم !

[.. يا أهلي، يا سكان الجرح الواجم يا أهلي،

لا يسمع صوتي أحد منكم يا أهلي :

« لم يبق لنا في هذي الأرض سوى الموت »

لم يسمع أحد منكم صوتي :

« عطشان يا صبايا »

عطشانٌ حتى الموت !

والظلمة صوت

الوحشة سوط

العزلة موت ..

الصمت شبيه بالموت !

...

... ويدي لا تدرك غير يدي في الليل ،

وأحاول أن أنسى ظمئي في الليل

أن أنسى أن « الجسد حزين »

أن أسلو أن الوطن حزين

أن أبعد عيني شبح العربات الذاهبة

خلال الليل إلى المنفى ..

أن أهمل من ذهني وجه سجين

أن أترك لضواري البرية قلب حزين

ألّا أتذكر وجه الأطفال الجوعى

لكن يدي لا تدرك غير يدي في الليل .. !

... وأنا يا أهل الحي ، صبايا الحي

عطشان

أحبو ، أزحف نحو الماء وبي خوف من ذاك الجنّيّ

فلقد فاجأني يوماً وأنا أحبو

فتضاحك من خوفي، وتساخر من رعشة كفي

يا أهل الحيّ ..

حولوا ما بيني - هذا الليل - وما بين أهلي !!.

- لا تقولوا مشهدٌ يبعد الخوف أسودُ،

إنني ههنا فتىً أعرف الليل، سيّدُ -

لكني أعرف جسدي، أعرف أبعاد الشوق

وآفاق الموسيقا

أعرف عربات النفي القارعة بلاط شبابي الغرق ..

وأتوق لضمة وجد من تمثال القش

الحارس مقبرة الأحباب

أتشهى قبلة حب لا تذوى

وأموت على قبر الأعشاب !!

[.. والليل طويل يا أهلي ، ونعيش بلا منٍّ أو
سلوى تأتينا من هذي الأرض العاقر
ورياح الليل خماسية ..
وعلى مفترق الطرق الجسدية
جنيّ غادر ..
وأنا العطشان إلى الماء الصافي
فاسقوني يا صبايا
عبثاً نحمل أوعية ، ونسافر نحو النبع الشافي
فالأوعية بلا قعر يا أهلي
ومياه النبع قوافي ...]
... وإذا ما انتصف الليل وشدتني الرغبة للشاطئ
نحو البحرْ ،
هاجت فيّ الحمى فتذكرت الماء المالح

وغصصت بدمع القهر ..
أتذكر إخواني ورفاقي ،
وزبيب الصدور المحروس على بوابة هذا العصر ...
ووحيداً أمح نفسي في مرآة الماء المالح
انضو عن جسدي ثوب الملك ..
[.. يا أهلي ،
جف الضرع ، ومات الزرع ، وأنتم تنتظرون الغيث
وأنا معكم ،
آكل من خبزكم اليابس ،
أشرب من مائكم الآسن
إلا أن الريح هباب
والصيف المقبل ليس سحاب !
.. وطن الموسيقا ليس الجسد العطشان

وحفيف الموت القادم من خلف جسور الليل
هو الإنسان !
وأنا عطشان ،
إني عطشان !..
فاسقوني من نبع جراركم الفارغة الوسنى
قطرة ماء ،
اسقوني ، اسقوني دمعة حبٍّ
يا كل صبايا الحي الوضاء
أو دلّوني أين الماء !!
آهٍ دلّوني أين الماء !!
« الجسد حزين والأسفار »
أين الماء
وصبايا الحيّ جرار عطشى

أين الماء ؟!

دلّوني ، دلّوهنّ وقولوا :

أين الماء ؟!



النبوءة

.. تحملني الليلة - ياقلبي - نحو ينابيع العشاق
رياح لفظية
تومض في العتمة كلمات، مثل يراعات دريّة
فتنور كل محاسنك المخبوءة،
تحت دياجي خوفي الموتية ...
(ساقية أنت من اللحظات العسلية
تخترق حياتي من مشرقها حتى المغربْ
بوابة موسيقا وضياء يهطل في فجوات

الخوف بوجهي عسلاً وأمان
بردة قديس خمري ، ألتحف نعومتها ،
وأشدها جسدي المتعب
وتَئِنُّ من قشعرة أمي الحانية على صدري الشائك
يوم بكيت على ركبتها .. فبكت بحنان !
أبتهل إليك .. احتملي شوقي واحتضني ذعري ،
هشّي عني الأشباح الماثلة بكفيك الحانيتين فإني :
.. سوّر الأشياء هنا في قلبي يتفتّح
ونسيم الآبار العلوية في بلورات دمائي يترنح
الليل رخيم فوق إهابي يتجرح
ودوي الرغبات يدوم بي ،
يحملني في وجه الريح إلى .. المذبح !
.. قالوا : بحار ملّ الزرقة ،

ونعيق طيور النورس ،

هاجر من قفر الأمواج إلى الليل ..

وتغنوا بقصائد جرحي الأول والثاني ،

حملوا نعش هواي القشيّ ،

وساروا في درب المقبرة الليلية

يعمرون بقايا زهري المتفتح !..

... وأحس دبيب الأرجل فوق صقيع كياني

تأكل من رئتي الكلمات الناثرة يمينًا وشمالاً ،

تحرقني دقات الساعة .. ترعى ألواني .

.. يا صلوات المحمومين أمام طلوع المعجزة

الآحمية عرّيني من ثوبي الانساني ،

في نعش غبار اللحظات على ايقاع

رمليّ تحت لساني ،

تتحطم الموسيقا الهمجية بجدار
دماغي الرباحي !
.. ويحدثكم راعي الضأن الشيطاني ،
عن قلبي وتجاويف الرئة اليسرى في صدري ،
عن كل تضاريس المخ برأسي ،
وجيوب الموت القائمة وراء الضلع العاشر
في الجهة اليمنى من ظهري ،
ويشرّح أذني الوسطى حيث الموسيقا
كامنة عفنه ،
والنغمات الشعرية ساكنة مرنه !
.. يا حراس الكوخ القائم عند حدود الفقرات الطينية
قوموا من نومكم الدهري ، اندفعوا في منحدر
الساعات الأفقيه ..

هبوا فلقد جاوزتم مدّ الكلمات

حدود الأحكام العرفيه !

... هذا قلبي معروض لأشعة هذا الكون الوسنان ،

جرسٌ موسيقيٌّ ، مشعوث تحزم الألحان !

و .. يمرّ بكم عسس الأفكار اليوميّه ،

فينقب تحت أظافركم عن خاطرة منسيّه

ويرافقكم ظلاً سهران :

يدخل معكم حتى قاعات الصمت ،

يوازيكم في المأتم والعرس ،

ويثقب ابواب مخادعكم ،

ينتظر قريبًا من أجسادكم العارية

ليسمع دقات القلبينْ

وينصت عند الصدغ لعل النبض يغيّر من دقته الموزونه ،

ليسمع أعينكم ، يتشمم خطاكم في المغسلة السريه
أو خلف الجدران .
.. وانا ، لا يتعبني حمل صليب الأشعار الخافتة
ولا لغط الأوزان ..
أمشي وحدي ، أطفو بجناح فراشه ،
أتلصص دومًا بالشفتين على نفسي ؛
- أفاقًا يحمل فوق الكتف هواء وفراشه ..
أدخل من فتحة أنفي نحو الأعماق
وأركن للظلمة في الأنفاق السريهْ
وأقيس على جسدي نعشي !!
أتصالب مع صلواتي الإبطيه !
.. يا طابور العفة في ساحة قريتنا النملية
يا نسل الحيوانات القطبيهْ

هذا رأسي ملقى في مجرى العبرات

هذا سيفي مثلوم يتلوى في حضرة راعي النبرات !

جزّوا رأسي عن جسدي وخذوا سيفي

وتواصوا بالصبر فرأسي مات ..

وقراب السيف ارموه فقد يسرقه ضيفي !!

.. وأنا ، ممتلئ بالليل وقلبي متعب ،

أتنزّى جوعًا وكآبه

وجراحي ثاغية من غير صحابه

وأنيني يرقبني في كل المنعطفات .. فأهرب !

.. ويقول لكم عني سنّور غابيّ :

هذا وحش مخضوب الأنياب لعابي

قديس يأثم لا إنسان

لص الميمنة ،

في حفلة تتويج الشيطان
وسراب يتلاعب بالعملات الشعرية والأوزان
.. وأنا، ما أفعل والأشياء الدافئة
تموء خلال مجاري دمعي ودمي
سؤر الأشياء قديم في قلبي
يأكل لحم الكلمات خلال فمي !
قد شق الشيئين بسيف البرد الصدء
وأودعها منذ ولادتي الأولى،
أضجعها فوق وسادة شوك وغبار
وتناسى تضميد الجرح الناغل بالنار،
الجرح المفتوح، الموسوم بخاتم
إبليس .. الجبار !
.. والنوم يجافيني إذ ألجأ لسريري الحب

فتطعنني الأفكار ،
وتحدقني عين في عتمة سقف شبابي
فأجار :
(صدر حبيبي جنة موسيقا وبهار ..
ثغر حبيبي عنب غبيّ ومحار ،
عيناه شراع
كتفاه سلام مسحور ،
والسرة قارورة طيب محظور ،
وحبيبي يأخذني من فسحة موتي نحو حدائق بابل ،
يوجعني حبي ،
أتشبث بجديلته المتدلية إليّ
من الدنيا الأخرى ،
أحبو نحو رخامة فخذيه بلا خوف

من أن أنتزع الحب الحرام ...

أعشقه يا أهلي من آخر جذر في تاريخي الشعري

أحب قوافي نهديه الشرسين ،

وموسيقا إبطيه ، ورقصة عينيه ،

ولثغة كفيه .. وأغفو

في ظل مغانيه الحميمة ..) لكني ،

يجفوني النوم ، وتبقى العين تحدق فيّ

وتغرز أشواك الأجفان بعيني الخائفتين

فأرتعدُ

وأهم بأن أهرب نحو العزلة ، أو

نحو البرية والقمر المنصوب على باب الخيمة

حيث الغزلان تنادي في الليل الموحش

للعرس السري ولا تعد !

لكن العين - العنكبُ تلقي نحوي شركًا خدريًا
وتحدّق، تحدق، تحدق، تحدق ..
حتى المخ القابع في خوف تحت العظم الحارس
في آخر رأسي المتدلي نحو الديوان المعشب لليل الشتوي
لكني ألجأ للصدر النامي في مزجي المروي :
(صدر حبيبي جبلان من الثلج الأزلي
وأعلى الجبلين ورود جورية ..
سرّته لؤلؤة في بحرة ماس شمسيه
ثغر حبيبي قمر يفترع بكارة أحلامي الفضيه ..)
... وأنا، لا أعرف ما يحزنني إذ أوطئ الأشباح
وأشرّع كل نوافذ كوخي للأرواح الشعريه ،
لكأن الموسيقات تجمعني بالصدفة
والحيرة، والريش المنتوف من الأجنحة

السوداء لأطيار اللحظات المطفية ..
وكأني مصلوب تحت الشمس الحمراء
الغارقة وراء الأفق بصمتٍ
في بحر الأيام المنسية ...
... وغداً يأتيكم أعور موفور الصحة
يبحث في كراسات الأطفال عن اسمي
فيغطيه باصبعه المبتورة ،
ثم يهيل عليه حبراً ولعاباً ،
ويحدثكم عن تاريخي المنسيّ و ..
يفقأ عين الذكرى !
و .. أراكم تستمعون لقصته المشوية
في كهف الأسماك النشوى البشرية ؟
وأرى الثكلى شغفاً بعبي الزيت

المحروق .. ينقب في تابوت حناني
عن أغنية سكرى ..
و يصب على جثماني الهادئ ذوب رصاص أعمى ..

. . . .

... لا تتحدّوا رهبة صمتي يا شعراء السنوات العجفاء ،
لا تصغوا للدجال فتمشوا فوق تراني الوضاء
و دعوني أنسج هرولة حروفي فوق الماء
و دعوني أرضى عن أهلي في عزلتي الشماء ...
.. فأنا القنديل المتروك وحيداً عند حدود الصحراء ،
و أنا الصبارة رافعة أيديها للريح وموسيقا الأنواء ،
و أنا التينة - إن شئتم صلبي - العجفاء !
جذري يتغذى من قصة قابيل بدمع و دماء ،
و أنا في بذرة تفاحة حواء ..

وأنا آدم، أو إبليس الخائف من صورة الحرباء..

... لكنني، مهما عذبني الحرف المشحوذ وقافيتي الشمطاء

سأصرّ على أن أولم للأشباح،

وأهدي للنار الشعراء،

سأظل صديقاً مدعواً في خوفٍ...

انتحل لوجهي أسماء أسماء،

وأقيم وحيداً، معتزاً.. شاهدتي،

وأناي.. على مائدة الشعراء...



القلب .. على نافذة الشمس!

... أالشمس على نافذة الموت قناديل ناشرة وسنى

والريح تهبُّ على القلب المشنوق على الشرفة ..

.. ريح ثكلى!

وعلى مفترق الطرق العظمية يبدو هيكل أيام الوجد حزينًا ...

يجرجر سرب حمائمه الكسلى ..

وعواء الذئب يمزّق قلب الليل ،

ويحمل روح الخوف إلى ضفة نهر الأحياء

النهر يتابع سيرته الطينية ،

يأتكل جفافيه ... لا ماءْ!

(موسم القحط التي ابتدا ،

أوقف سير الزمن

واعتلى في وطني

منبر الحكمة طيات المسافات الطويلة ،

فأقم بجمك يا حزن على تلك الطفولة !)

.. والصيف المجدول بلون الذعر يحوّم فوق أراضينا ،

ويتوّج هامات خراب السنوات على شرفة ماضينا ..

ينتزع اللقمة من بين شفاه الجوعى .. ويغاوينا !

يا صيف الجور المسلط فوق رقاب الناس

ارحل عنا ،

احمل آجرّك وثيابك واهجرنا

اذهب صوب البحر لتغسل وجهك من آثار الحمى

إرحل ، إرحل ، بدل هذا الوجه .. ارحمنا !

(إرحمنا من عارض الريح ، قِنا البرد ،

يكاد الثلج يقتات بقايانا .. وبيننا جدار الملح في تاريخنا ،

أدع للموتى وللأحياء بالرحمة يا نسر الأعالي ،

فلقد تاهوا خلال العاصفة .. !)

... وتهبُّ الرؤيا ، تغزو الشمس ، يموت الوجع ، تدب الفكرة فوق الصدغ ،

تعتلي أحلام الأطفال هنا ..

في كل زوايا البيتْ ؛

تقتحم الذكرى سقف الدار ، تعشّش في أخشاب الصمت النخرةْ ،

ترقص في بئر الشهوة روح السحرةْ ،

حزنًا ميت !

ترتطم الصفقة بالأضواءْ

تتاجر بالكلمات وبالأسماء

تخاطف من قدام الرغبة أشباح الفقراء

تجري الموسيقا تحت الجلد ،

فتمحو عنه وشم الكلمات

وعظام الموتى تركض في كل الطرقات

تمشي العكازة من غير رفيق تكبو في بعض المنعطفات !.

تحبو الأفعى في أنفاق الشهقات ...

... وعلى قارعة الشيء المنسيّ تصفّق أجنحة الطير المهاجر

قبل أبيه إلى المنفى ..

في كل زمان ومكان أطيار ، أعشاش وفراخ .. أفعى

في كل مكان وزمان من هذي الدنيا

عصفور يولد يزقو ، يزغب جانحه ، يعطش جوعانًا ،

ينبذ ساقية طفولته ويهاجر أو ينفى ؛

في كل مكان وزمانٍ ،
آهٍ يا كل زمان الخوف ويا أرض الموت ..
(أغيثينا ، احملي عنا خطايانا ،
أعيدي للمياه البيض بعض صفاتها إنا ..
نموت ظمىً ولكنا ...
ولكنا !.)
« كان قلبي حقل قمحٍ ، وخرافًا قمرية ،
كان صدري مرج موسيقا ، وأطفالاً وبيداء صبية ،
كنت أهوى أمسيات الصيف ذكرى خلوية ..
ثم غالتني ذئاب الشوق للمرج الفتية ..
فتشردت بعيداً عن صباي الحر ، عن عشّ
أغانيّ الحييّة ... »
.. لم تمطر هذي السنة الأشجار حليبًا وعصافير وقمحًا

لم تحمل أغصان الكلمات بروقاً، لم نصنع منها رمحاً
جاهدنا بالأيدي المقطوعة، قاتلنا بلسانٍ مبتور
حاولنا صد النار عن الغلة، ذدنا الريح عن التنور
عدنا من حرب الكلمات المتقاطعة برأسٍ منهوب
ولسانٍ مقطوع!
عدنا نحمل آنية فارغة، أنفاً مجدوع.
عدنا أرتالاً، أرتالاً تحبو مطرقة صوب نهار الجوع،
نقطع نهراً، نعبر جسراً مخلوع
نمشي خبباً، نمشي عدواً، فنجرّر أقداماً باكية؛
نمشي، نمشي، نمشي، نتوقف، نمشي، نتوقف،
ننظر للأفق المفجوع؛
جثث الأشجار على الطرقات
جيف الدور انتفخت،

خلفناها ميتة فوق العرصات

هاجرنا عن أعشاش الخوف ، ورفرفنا مبتعدين

نحمل تاريخ السنوات العشرين ؛

تاريخ العذرية صار على أكتاف المنفيين

صوراً من خمر ومهترئة

أرغفة متعفنة ومعاول صدئة

رفعت أذرعها الأشجار العجفاء ، الأشجار اللفاء ،

الأغصان الشوكاء إلى الأعلى داعية مبتهلة

شاكية سحب الأمل المنشورة فوق خيام

الذكرى المشتعلة

للريح الموتورة والشمس المنفعلة

للآلهة الخجلة !!

. . . .

.. في قلب الوديان، على الطرق الجبلية، لا يسمع غير
عويل مبحوح
وصدى مجروح ..
لا يلمح غير قوافل أشباح تتعثر منهكة،
تتوارى في منعطف، تبدو في مفترق، تتوقف وتصلي
لإله الريح!
(وأنا يا «جبل الريان» منذور لتصوير المشاهد،
شاهدٌ أبكي على قبر .. عليَّ القبر شاهد
أرسم الأشجار والأفكار والأوجه والنسمة
والينبوع والسيف ولمع البرق، والدمعة و
اللون الدمائي وأحلام المجاهد ..
غير أني قد وجدت الجبل السحريَّ، سفح الجبل
الموصوف في تاريخ أجدادي نبعًا للحميّة،

لم يعد غير طلول حجريّه !!)

.. والشمس على نافذتي تشرق كل صباح

تتأرجح تعمي بصري .. تتخاطف قدامي الأشباح ،

تقتلع القلب وتشنقه ،

تغرز فيه أشعتها .. وتخلّف لي الليل الوضّاح !

لكني في ظلمة عينيّ أرى صبحًا من تفعًا ،

أسمع موسيقا ؛

موسيقا تعصف بالدنيا ، تتربص بالذكرى ،

تحني قمم الأشجار النامية وراء المقبرة النشوى ..

الموسيقا تهاجم ، تقتحم البحر ،

خيول الموسيقا تتخاطف أعينها النار ،

تداري أعراف الخيل السنّ ،

تجن الموسيقا ،

تعبث بالخصلات النافرة لتاج الملك الغضبانْ،
تهاجم، تقتحم البلدة في الليل
تصرّ قوائمها فوق بلاط الناس، تقصّف أغصان الحبّ..
الموسيقا تأكل أطراف عظام الموتى البارزة من الأرض،
تسوّيها، تمشي دروب حقول السوسن، تصهل في وجه
القمر البارد، لا تزحم صمت الحالم، تشوّش نوم
الناس وراء الأبواب المغلقة، تطارد خوف الحجر النافر
في الجدران الرطبة، تفقأ عين الشعرا..
الموسيقا تهرب من همهمة الأطفال،
وقد أيقظهم وقع حوافرها، تلطو في حفر الأعين تحت
رفوف المقبرة البيتيّة،
تتنصّت من مخبئها.. فعزيف الريح مهيبْ،
والليل على السهل طويل ورهيب..

الليل .. مهيب !.

(اليوم أكملت لكم دينكم علمتكم كيف تموتونا

ولم يعد في قعر أيامكم غير الرياح السود... عربونا !.)



الشـــوارع الخلفيـــة

... الشمس القطبية تحتل مدار الجدي ،
وترعى في غابات السرطانْ !.
تلتهم الأسراب الشمسية كل طيور النورس ،
تحتل جبال الفضة ، ترقد في أرض الغيلان ..
وتلاحق أسراب « الطيارين »
تسمل أعينهم ،
تقتل فيها وهج الرؤيا ...
وهمُّ في هودجهم ،

[« سافري خلف البحار

تسلبهم عفتهم وفحولتهم ،
تلقي بهم في قاع النسيان ،
صار الطيار ربيب الشمس الليلية ،
رب الأجواء يطارد أسراب الجرذان !!
صار يخاف الضوء ، يهاجر من وجه الشمس
ويمشي في فيء الوديان !
صار يعاقر وحدته في قلب مدينته الكبرى
بين شوارعها الخلفية صار يحدث ظل الليل
ينادم لون الجدران ..
لم يعدِ الليل ملاذاً ،
صار الليل رهيب العينين ،
صار الظل كياناً خوفياً يتحرك
يمضغ شبحاً ما بين الفكين :

[« سافري خلف البحار
يا نشيداً بدوياً
وامنحينا في النهار
جسمك الحر الشهيّا .. »]
... الشمس القطبية تتبعنا ،
تمنحنا الدفء الكاذب
ترجمنا بالأنجم سائلة ،
كاوية بالقار الذائب !
و.. « رفوف الطيارين »
تتهاوى ،
فتموت على أرصفة الوطن الغائب ؛
الواحد منهم لا يملك تبغاً ورقاداً ،
لا يجرؤ أن يتسول وهو الطاعن في الكبر ،

العاقد سيف النار على ياقته ،
الممسك بالنجم الثاقب ..
.. لا يملك سوى « الطيارين » سوى الريح الذاهب ..
لا يحسن غير التهويم على ذيل محفته العاطب
أصبح واحدهم يخشى من فتح الثغر ،
من الرشد والحزون وراء الأبواب المغلقة
على درب الصمت الحادب
وتراهم يختبئون وراء البسمة ،
يلتجئون إلى الكأس المعزول عن الدنيا ،
يتوارون خلال الأجساد المسلوخة
في برك الهمس الآسن
في التيه اللاحب !
[يا أللهْ ، يا أللهْ ،

صار الذئب غراب ..
صار الفارس درويشاً ،
صار الساح عقارب ..
صار الغالب .. عاش الغالب ..،]
.. وتراودنا الشمس الذرية عن
قافية تحتك عذريتها ،
عن حلم نشنقه فوق القضبان ..
وتزيّن شمس القطب لنا الماضي والآتي ،
وتخدّرنا بشراب تنتعش له الأبدان
وتخيّرنا ما بين الرغبة نطلقها ،
أو بين الموت على خد الإيمان ..
وتساومنا ، وتواسينا ،
فنراها صيفاً مرجاً أخضر ،

نلاحظ ثعبان ..
نمقتها ، نعشقها ،
نمر فوق نعومة شفتيها الوثنيتين ،
ونمضي خلف خطاها مأخوذين
برنات الخلخال وسقسقة الألوان
حتى كنا عند حدود الهوة ،
تدفعنا نحو القاع ، ونمضي
في زهو السكران ،
نسقط ، نسقط ، نسمع ضحكتها الشامتة
ندوّم خلف فراغ التيه المعتم ،
تصدمنا الجدران ،
فنفيق نسائل أنفسنا .. ماذا ؟
انعدم العالم .. ، مات الحلم ، انشق الصخر

عن المعجزة ،
أم أنا نسقط أيضًا نحو القاع
لتسلمنا القاع إلى قاع أخرى ،
أم أنا نمسك بالفجر المعتم ،
نتساوى في حضرة آلهة الجان ؟!!
[" استمعوا يا أطفال الميتم للصوت الداوي
في البرية ، وانتبهوا فهناك أذان ؛
وهناك شموس أخرى دافئة بعد القاع
غوصوا ، غوصوا للأعماق ترَوا
شمسًا فاقعة الألوان ... وترَوا :
ظلاً للإنسان !..]
و .. تهب الشمس الثلجية ،
تتغلغل في أعراق الطيارين

وتلوّح من رأس التل مناديل وداع ،
وأيادٍ تحمل للبشرى أغصاناً خضراء
وتنفرّ من خلف التل سيول الحصادين
ووفود الصّيادين ...
[جئنا كي نحصد أعشاب الظلمة
يا فتية فجر مقتولين ،
ها نحن هنا حتى نبني جذع الشمس ،
ونبني كوخ الأيام الآتية ،
فتأوي للكوخ وفود المشنوقين
جئنا ، جئنا .. موتورين !]
... لكن الشمس القطبية تبقى في الأفق المخمور :
تغاوينا ، تتر قرق في أعيننا نظرتها الشمطاء ..
نتكرها ، نغمض أعيننا ،

لكننا ننزف تحت صوارينا الجفاء
نتسكع في شوارعنا الخلفيّة
مذهولين فما نلمح شيئاً غير ظلال سوداء
.. يا حسرة ، ما عاد الشعراء هنا شعراء ،
قد قطعت الألسن في أفواه الشعراء
ما نفعل لو قطعت الأثداء ؟!
ما نفعل في دنيا لا تحتمل الشعراء
ما نفعل في دنيا ليس بها شعراء ؟!

الشمس وأصابع الموتى

آهٍ ،

يامسرى الشمس الخلفية ،

يادوّامة دفن الموتى الأحياء ..

الريح تفتت آياتي الشعرية ،

تذروها في قنوات الجسد الزرقاء

وأنا : ليلي مرتقب شهقتي الثانية لكي أتحلل

ذرات شقراء

كي أمضي في فلوات الصمت أعرّي أحباني

الموتى من صمتهمُ الوضاء

كي أرقص بحبابي الموسيقيّ على ذرّاتهم

وأوقّع شعري فوق خلاياهم واحدة واحدة ،

أندسُّ بفتحات مسامهم البيضاء

وأثير غباري في الأعين ، رنّي في كل شفاه

عطشى ، أنحدر ، أطير ، أراوغ

أثداءً أثداء

أتلوّى مع خط يهرب من نظري المتعب ،

أنهال على قارعة النهر الكلّي الضوئي ،

لأشربْ

وأداوم في فسحة ضوء شائكة ، أتسرب حتى

أتسربْ ،

آهٍ ،

تطعنني الشمس الخلفيّة ، تحيا في جذري المتصلبْ
أمشي ،
أعدو ،
أندسّ حزينًا في الرؤيا
أنهار وحيدًا فوق الليل ، أرعب ظلي
أتكئ على قلبي ، أتشابك مع أحلامي :
أصخبْ
آهٍ ، طوفت بأرماس بيضاء
طعنتني عظمة إنسان في رمس منها
انغرزت عظمة اصبعه الممدودة نحوي
كادت تخترق حتى القلبِ
زقوت ببؤس ، فارتخت العظمة في إشفاق
وتوجّع صاحبها عني ، شيّعني حتى مدخل بيتي

وتولى عني بجياء :
يا موتى قوموا من قاع الصمت ، ونادوني بجاهْ
يا موتى دقّوا أجراس الليل على باب جدائقنا
غنوا في الفجر لنا ، هبوا يا أصحاب الأجساد العظمية
وتولوا حكم الأحياء
آهٍ ،
وانفجر الدمُّ أمامي ، أغرقني
والشمس تلاحقني
تثقب آخر جمجمتي بأشعتها السوداء
الشمس الخلفية تعرفني ؛
تتبّعني ، تزحف خلفي .. أفعى رقطاء ؛
ولها أجراس في الذيل ،
وفي عينيها شهوة أنثى مسعورة ؛

تغريني ،

تسحرني ،

أجري للخلف ،

تخدّرني ،

أهوي نحو الأرض ،

تمد لساناً مسموماً

أنهض ، أجري

أصطدم بحائطها اللبني ،

يشجّ الشوك صراخي ،

ينشطر الصوت إلى صوتين

أحاول أن أتسلق برج الورد

فأهوي نحو العسل الأرقش ،

أُنْهَدُ ، أرتطم بظلي ،

يدفعني الصوت ..

... أتمتم باسم الحرية !

فأرى قدامي ليلكة تتأوّد في

النسمات الفجرية ...

آه .. يا جسدي المسكون تحرك ،

خذني في طرقات البرية ،

أين الشمس ؟

الشمس توارت ،

يشرقني الشوق لعينيها القاتلتين

لذوب أشعتها الحمراء

تأكلني الرغبة في أن ألحق بخطاها

أن أتبعها في كل الأجواء

آه .. خلّفني ظل الشمس الخلفية ،

وأنا،

ها إني وحدي مهجور مهملٌ،

يا ظل العزلة لا تدخل

يا ظل العزلة لا ترحل

يا شمس الآبار العلوية إني أتوسل

إني أتسول

إني أتسول!



الشيء الوضاء !

أشعرك اليوم على جلدي وشماً ، موسيقا ،
أتّئد من سوط القدرة ،
درب نمال منقرضة ..
أتلمّس صوتك في العتمة ،
أحنيه على زندي ..
وأتوه وراء هسيسك فوق رمال شبابي .
أتلفت حولي كالباحث عن ظله ،
ياذات الطوق النا ريِّ .. ابتدئي عزفك

في أنفاقي المعترضة !

غنّي في وجهي يا ذات الأجراس السغبة

مرّي في أحناء شراييني المكتئبة ...

فأنا اليوم أناديك ، أناديك

فما أسمع غير صدى صوتي ،

ودويّ حزيناً .. فوق سطوحي المرتعبة !

وأحس هدير دمائي في الأعراق التعبة ..

.. أتنفسك الليلة يا ضوئي بخلاياي السغبة ،

غنّي ، غنّي فيّ ،

استلبي مني شوقي ، واختتميني يا أمي

يا أرضي التعبة !..

هزّي أعماقي ،

حرّي إيماني ،

انتزعي قشرة أيامي الترِبة ..

دوري حولي مثل النار ،

جرِّديني من أجفاني ...

وخذيني بين مفاوز جسمك علّي أعثر

ما بين تصالبها .. آه على روحي الخربة ،

فلقد ضاعت روحي مني ما بين الأرواح المحروقة

في الصيف المحروقة

ما عدت أميزها بالقسمات المشوية واللون المسروقة !

روحي تعبة ،

روحي خربة !!

(... وأناجيك الليل ، أناجيك الصبح ،

خلال البرد ، خلال الحر ،

أصوِّر عينيك بماء العين على صفحات كتاب البحر ،

أتضاحك داخل قبو الأغنية المعروقة من قهر ،
أتلعثم باسمك في الأسى !!)
.. لكني أبحث عنك خلال ضباب الصبح على ميناء الموت
على مقبرة أحبابي البيضاء ..
خلال الفجر
أنسى حظي ، أهوي مشتعلاً ،
أومض ، ألمع ، أسلو أيامي الشتوية ..
أمسك بخيوط الخمر !
أهذي ، أتأرجح في درب الوهن ..
فأعاقر قسمات الجسد الريان
أداري عينيّ من النبرات الضوئية ..
أهذي تحت ظلال الإيمان ...
... وأدوخ ، أثرثر ، أبحر ، أهجم ، ألقى عينيك

النازفتين حنانًا وربيعًا وحنان ..
افترع اللجة، ألقي بمتاعب أيامي في شطيك، أداري
الجرح، أغني، أبكي، أتلعثم، تدوي في سمعي أصوات
البحر اللجيّ، أقاوم ذيل الأفق المسموم، أدوّم،
أقتحم التاريخ بأوجاعي، أصمد للحمى، أتراجع،
أقفز، أمرح، أضحك، أبكي بعبير الألوان ..
... «يا سجّان، يا سجان،..»
افتح أبواب الليل، وشرّع نافذة القلب على الألحان ..
فالدنيا يا سجان
موسيقا تبتلع الظلمة، تسري في أعراق الصمت،
توشوش في سمع الديّان!
تهمس، تومض، ترغي، تزبد، تملأ سمع الليل أغانْ ..
... وأحوّم حول الجذع المتجسّ، أوغل في طيات الشعر،

أقيم خيامي ، أقلع ، أبحر .. أبتعدُ !
أمضي والشاطئ زناري ... أرتعدُ !
أرجم إبليس الناتئ بالشعر الغيبيّ و .. أجتهد !؟
... يا عنواني الضائع ، يا حبي المتعالي !
هأنذا في ظل السقف اللاجيّ بلا ظل ، وقوافي بلا موسيقا ،
هأنذا أعتمد القبلة والخمرة ، والتين ، وزيت الزيتون ،
أصلي للشبح المقبل في عاصفة الأفيون وأبكي في صمت ،
هأنذا أتحامل في الظل على نفسي ، أمرق من ثقب الإبرة ،
أهفو ، أشتاق ، أراود أشعاري ، أتلفت ، انصت ،
أخبو في .. بيتي !
أتهافت ، أحتضر ، أقوم من الموت ،
أجن ، أتيه ، أغالي في الكبر ، أحاسب آلهة التقويم
على الوقت !

الرعب يخاتلني ،

الخوف أمامي وورائي ،

العسس النحوي يلاحقني ،

قبل التنجيم يعوّضني عن صمتي !

الأشجار تواكبني ،

صوت الريح على كتفيّ ثقيل .. يتعبني !

رمد الشمس يشلّ خطاي ،

أراك حبيبة أوراقي الخضراء مسهدة عند جذور

تعاويذي الشعرية .. انتحبُ ..

وأضم ضفيري تلك القمحية ، أرتج ، وأخشى زلزلة الوقفة

عند المنحدر الرعديّ لهوة آثامي .. أنسربُ ،

أهرب من ظلي العدديّ ، أحارب في خندق سورة

مريم ، في جبهة آية وجهك يا حبي .. أقتربُ !

أتقرى صفحة فخذيك الضمنية بخلودي .. آلتثُّ !
وأطالع إنجيل البجة واللثغة والكفل الجتاح ، وقصة
جبريل ، وأشعار القديسين ، وآهات الموتى عند جدار
الرعب ، أغني للعلماء وللفقهاء ، أدوّن في دفتر شهوتي
الموتورة قافية تترقب وجه الفجر و .. تنتحب !

. . . .

(... يا قابيل تشرّبْ دم أملك تحت مسام الأرض ،
وحلّق بجناح طينيّ .. لا تعجب من دمك السائح فوق
تراب الفكر ، ولا تدخل في ثقب التاريخ « الطامة » ،
لا تترقرق فوق الأمواج الدهرية ،
واضحكْ إذ دمعك ينسكب !! ..)
.. الليل ، الليل ، حبيبي يطعنني بمخالبه الصفراء ،
الليل طويل ، وطويل درب الإسراء !

والريح تعالج قتلاها المشويين بحرّ الصحراء ...
وأنا وحدي ، وحدي الجي ...
الجي وحدي ،
وحدي ، وحدي
صدري ، رأسي ، ثغري ،
عيناي ، ضلوعي ،
صدغي ، عنقي ، فقراتي ،
كفي ، زندي ، كتفي ولساني ..
افعى تشرب من وكف دموعي ،
الجي ، الجي ... الجي وحدي ،
إن لا أنَّ ...
أنا ، الجي ، الجي ... شيءٌ وضناءٌ !!

. . . .

اللحظـــات المنقرضـــة

... يا قارع طبل الصمت المثقوب أردع عيني
أشباح الليل المهموسة خلف الربوة ،
جنّبني همّ الكلمات ونار الشهوة !
إمنع عيني هذا الفيض من الصور الشعرية ،
حاذر أن توقع ما بيني - هذا الليل - وما
بين الغفوة ..
جنّبني يا قارع جمجمتي الجوفاء ثغاء الصّبوة ،
هرّبني من أيام حروفي ، حتى أسلم جسدي للشيطان !

١٠٣

وتحالف مع سكان عظامي حتى أرضع أرض
خيالاتي بالأحزان ...
« ... الصورة ،
السحرة ،
الديناصور ، الماموث ، الأرض الخصبة ،
الحيتان ، الوهج الغافي في القاع الخضراء
الساطور ، المنجل ، العقفة !
الحزن ، حزيران ، المزرعة النملية ،
الخوف الصاعد ،
المطر الموصول ، التنين ، الفيل ، العقرب ، برج الحوت ،
الابل ، الصحراء ، العقبة .
التين ، الزيتون ، العنب الحامض ، حب الرمان
الوجد ، الوصل ، الشوك ، الغابة ، صوت البرد

المشحوذ ، التينة ، خيل الموج ، البحر

لأسماك .. القلم النكره .. »

.. وقطار الكلمات يغادر خطيئه ويهشل في البرّيه

يا قوّاد الظلمة يا قارع طبل الفجر .

وخيوط المطر الصّيفي تلاحق شمس النصر

وأنا .. يا قارع صدغيّ المحمومين هنا

أتضوّر جوعًا وكآبةْ ،

أمطر نفسي بالموسيقا المكسورة في قلب ربابهْ .

أتساءل عن سر الخنجر في لحمي المحروقْ

وأبايع أمي حتى تمنحني لبني المسروقْ ..

اعطيك صلاتي الخافتة ، المدفونة في جيب السروال ،

أمنحك بلا منّ ، خاتم آبائي المختال ...

« ... بوذا ، قابيل ، نبوخذ نصّر ،

شارون ، العذراء ، وثديان أليفان وخنجر !

ليلى الخنالة ، عائشة الحمراء ، كلوبترا .

... جيفارا !

ممنوع لمس جدار الصوت ،

القرية نائمة تلحس ذيل الموت ،

وتضاجع غاصبها ،

تغسل قدميه بماء الزهر

.. القهر ، الله الليل القهر !! »

واستجمع كل قوافيك السمية يا ليل الأحزان

أثقب ذاكرتي إن شئت بموسيقا الطوفان

عاجلني بالنار

امتشق الأفكار

قرقه ، عربد ، أبوه ، اشهق

لوّع بمناديلك في وجهي

ردّد أحلامي شائهة

زوّر صوتي

اكسُ أشعاري

وقوافيّ اسحقها،

لوّن صوري بالقار..

فأنا وحدي اتصدى للريح الغربيه

وأنا.. بيديّ الشاحبتين أقاوم أخطائي الغيبيه!

وأسير على رمم الأيام الخالية أسير على كفّيّ،

فأشاهد أنجمها تخطر تحتي، تلثم رجلي!!

أبكي وحدي في الظلمة أحبابًا غابوا تحت الماءْ

أتلكأ عند حدود الشوق وأرثي تاريخ الأسماءْ!

وأراوح لحظات عند مسيل الدمع اللألاءْ

أختمر بأحزاني من غير مهابة
وأتابع رشدوي المجروح بصمت ورتابة :
« أالليل ، المطر ، الخوف ، اللافتة السوداء ،
الثوب القنب ، عش الغربان القطبية ،
الأفعى ، عين الدنيا ، الطوفان ، النار ، دخان ،
موسيقا همجية ،
ألحمل ، الطفل ، الدنيين ... الحاوية ، الصيف ، الكفن ،
القرية ، فخ الصياد ، المطر ، الوكف ، الجوع ،
المرض ، الموت ، الفجر ، الكهف ، الفاتحة ، الأطيار المرعبة ،
عيون الموتى ،
ألسقف الحامل للحشرات الضوئية ..
المال ، الحنوة ، اللولب ، سكب الزيت على الجرح ،
تماثيل الفخار ، البومة ، وجه القمر الأحمر

لأبيض في بريه ... »

... وحبيبي يمطرني في برد الليل حنان ،

يقصفني من غصني فأنام على على كفيه .. سكران !

أتمزز حلمة ماضيه

وأغنيه

من جذعي أغنية جذلى .. فأهان !

وأساوم عيني راعية الأنسام الليليه

وأخادع ساقيتي الحمراء الخوفيه ...

تعرفني كل نباتات الحقل ،

زهور الجبل الشوكيه ..

تطعمني أم قفي الأفكار الضوئيه

من شفتيها موتي

ترضعني من حلمة ثدييها قوتي

وتطرز فوق اهابي وشمًا مؤتلقًا
يتهدج في تاريخي ،
يلهث بقصائد صمتي ...
وينجّم لي ،
يحكي مستقبل أيامي العطشى ،
يروي عن أرقي ألف حكايهْ
ويترجم أشواقي ،
يرسم وجهي في مرآة خاليهْ
ويمدد أعضائي في أفق من غير نهايهْ !.
« ياعينيّ الخابيتين ،
ياشفتيّ اليابستين
هذا نول الموسيقا الغجريه ،
عربات تحمل جثثًا متفسخةً ،

تجري فوق بلاط مرصوف بجماجم ،

هذا قربان ، تلك ضحية

هذا عشب مطلي بالقار ،

هذي سلسلة لأشعار ،

غيم نبويّ

ساحل رمل فضيّ ،

تلك قدور فارغة ،

تلك رؤوس طائرة ،

هذا فانوس قزحيّ ،

هذي قيثارة تنين خزفي ،

هذا تابوت عظمي ،

تلك ربابات تشخب بالدمع الحلزوني ..

وطيور - تجتاح - أبابيل

تجعلنا عصفاً مأكول ،
زقّوم ، شوك ، ماء حميم ،
دوران في الحلبة ،
وزقاء مكتوم في رأس الكتبة
نيران هائجة عجبة ،
نيران ثائرة تعبة ... »
... وأوازن ما بين الكأس وما بين القنينة ،
فأرجّح كفة نبضي المتسارع ،
أخشى في الإنصات أنينه !
.. قرع الطبل يجيء بأيامي يا حامل
طبل الكلمات الرنانة ،
الصوت يفاجئ طبلة أذني ،
يثقبها ويعشّش فيها عفن الكلمات المزدانة ..

أجري خلف الصوت بكل مرارة

أتعمق بحر الشعر الخامل ،

أرسم فوق جبين اللغة إشارة ،

وأداور قاموس الكلمات ،

أحاول أن أتهجّى كل معانيه المختارة

لكني ألعق قعر إناء الصور الفوارة

فأحس بغربتي العزلاء ،

وانحت لي في الصخر الجلمود .. مغارة !

« .. الخدر ، الطحلب ، لون الكاكي ،

غبش الدوخة ، قعر القنينة ، طين المعنى

المبتسر ، التاج ، القرميد ، سنونوات الهجرة ،

عين الخفاش المرعب ،

قهقهة التنور ، شذى الأطلال ،

عبير الأرض العطشى، شهوتها،
آبار الظلمة،
أغوار نواح الأحرف فوق الورق المصقول،
أزيز النوم، الخدر، الإغفاء..
وتمتمة الجسد المتمطي بالرغبة،
قول الحوت، الصمت، الخدر..
.. الصمت، الصمت، الخدر!»



الدائـــرة الحمـــراء ...

... ياأمي ،

لم أعثر في كل دفاتري المزهوة هذا اليوم على كلمة ؛

غامرت خلال الصحراء البيضاء ،

ومابين خطوط العرض ،

خلال الضوء ، وعبر الظلمة !

قلبت الأثواب المخضوبة من سطر نحو الآخر ،

من صفحة موت لهوامش لم تلمسها شفة القلم

وعدت .. وبي خوف من قفر العالم

من شحّ الكلمات وآبار العتمة

و... ذكرتك ،

حاولت استجلاب الذكرى ،

فتح نوافذ صدري المجروح

لعلي أهدر ريّ بواديك ولكني

هأنذا أرجع نحو خفوتي المتوجع ،

أشعر أني اختنق ،

أموت .. على نسمة !

وجفوتك يا نادرة بين الأطياف ،

ويا سائلة عن رأسي المدهوس

على أرصفة التاريخ . بلا تأمله !

.. لا أعرف كيف أداري عينيّ من الأضواء الفاجرة

ولا كيف أسير مع الريح النادبة ..

وفي هذا الخدر السريّ يجمد خطواتي
يكتم آهاتي ..
لا أعرف كيف أوازن جسمي في الحينّ ..
والعنكب يقبع في آخر جمجمتي ،
يغرز أرجله الشوكية في قاعدة الرأس ،
يشلّ تلفتي الصّعب ،
ويسكب سمّاً في ظهري ،
لا أدري ، لا أدري ..
ولا يحرّ المنشور بوجه الشمس يعذب عينيَّ ،
يسدّ طريقي ،
يتجسد جثمان قتيل
أثبت عينيه على العين الحمراء
وتفّ عليها ،

فاربدَّ البؤبؤ ، وارتعشت اجفان حانقة ،
أغلقت الكوّة ،
فانقصفت اغصان الكلمة . . .

. . . .

. . . وأحاول أن أجتاز محيط « الدائرة الحمراء . . . »
فأدخل في الثقب العاري رأس القديس
المهجور على مائدة التشريح . . . ،
أجوس التيه الخفيّ ،
أنقّب عن كلمته الذابلة على اطراف البسمة . .
و . . أحاول أن أمحو صورته الليلية من رأسي
أن أتأرجح في حبل تعاسته
أتأرجح مختنقًا ببراءته ،
بتأوّهه المكبوت سنينًا حافلة باليأس ،

أتوسل للنسيان، وللأدمع،
للحمرة أن أتهجّى إسمه،
أن أتخيل في الظلمة رأسه،
أن ارسم عينيه المغلقتين
على الريح الذاهبة بلا حب،
نحو الشط الآخر ...
أن أبتلع اللحظات الخانقة،
وأطفو فوق البحر الهادر؛
... يا أمي الليلية ما أفعل
والريح غبار يتخلل جسدي،
يخترق تساكيني المهتوك،
وأجفل من ظلي في كل هنيهة !!
من أين أجيء بألفاظ نادية غضة ؟؟

... وصنت قدمي وأنا أجري في تيه الصفحات
فأعثر بالضجة ..
أسقط ما بين الأسطر مشلولاً ،
أتسقّط أنباء الأسوار العالية
وأنصت للنبرة بعد التأمل ..
.. الصور تطاردني ،
تتخاطف قدّامي .. خفافيش ،
خفافيش يزدحم بها رأسي ،
وأهم بأن أهرب نحو القطب
الغارق بالحبر .. فتنتصب الجدران أمامي ؛
أمسك بيديّ الواجفتين البوابة ،
أسرق كأسي ،
وأعبُّ ، أعبُّ ، فيربط لساني ،

وأداور صورتي المشنوقة في اللون
لعلي استنزف منها كلمة ،
لكني أتهاوى مثل الشلو
يدوّم نحو قرار الهوة ..
أتهافت منطفئاً .. وبلا أمد
أسقط ، أسقط متحداً بالعتمة ،
منحلاً في اللاوزن ..
أودّع آخر سطر في الصفحة ،
منحدراً نحو الظلمة !!

نخب البشرى

... انفجري يا ألواني الهادئة العينين ولو .. مرّة ،
وتهشم يا وتري الموسيقي على جرح الصخرة
فأنا ما عدت أجيد التلوين ،
ولكني أدهشُ في ألعاب السحرة ،
صارت لي عينان أرى بهما ما لا يمكن رؤيته ،
وأعاين دنيا في صمت الأشياء لوحدي
[يبسم لي وجهك يا عيني ، يحزن
من أجلي ، ويواسيني ...]

ألمح في "البلورة" ظل الماضي ،
شبح المستقبل ، جرح القلب ،
أنين الزهرة !.
وأرى في القاع الرجراجيّ لكأس الخمرة
أشباح طريقي الملتوي ،
ألذاهب صوب .. الحفرة !
أتمزّز موسيقا الكلمات اللاذعة المرة
أكرعها في نشوة أيامي الحرة .. !!
أتجرعها في حسرة ساعاتي ،
فأحوم في ملكوت الفكرة .
و .. أطارد ظلي منسربًا
ما بين الجذع وما بين القشرة
تخدعني الشمس ،

أخادعها ،
أطوف في ظل جدار الحسرة ..
.. يا ليت ثعابين الذكرى تتحرك
في قاع الآبار ، فتوقظني
كي أحفر للمولود الآتي قبره !!
يا ليت الكأس تفارقني
فلقد بتّ أرى في صفحتها
صورة نفسي المصفرّة ...
وأخاف وساوسها اللونيّة
أفكار تموجها السحريّ ..
ونشوتها بعد السكر !
.. وأنا السكّير الموسوريّ ،
أقبع في ذروة ذات السكرى

تكمن في داخل جمجمتي أفعى
يتشبث ثعبان بنياط الرئة اليسرى ..
يقرض آناء اليوم هنيهات سعادتي الصغرى
لكني أشعر أني أحمل في ذاتي
الليل الصيفيّ !
أتأمل في صمت سير القافلة الحيرى
تمضي متلجلجة الخطو وراء هدي البحر اللجيّ !
... وأنا الرسام المتبحّر في عالم الأحياء
المائية ، في اللون الصوفيّ ..
انبعثُ في موقعي السري
لكني ألهث تحت العبء الأسطوريّ
لعملاق يتلاعب بالأنواءْ
ترنو لي من سقف الأسماء

نجمة سعد كاملة الأضواء
فاتنة البسمة سوداء
تغمز لي، ترقص خلف حجاب ورديٌّ،
تتلوّى مثل الأفعى،
تعزف في ناي مسحورْ،
تعقص شعراً منسدلاً،
ترخيه، تضاحكُ، تبكي بدموعٍ،
... تغمز لي بصفاء ...
تشدو، تقرأ شعراً،
ترنو بالعينين القاتلتين:
عينًا؛ شمس تتوهّج بضياء محزونٍ
يرمي بجنانْ،
عينًا، زهرة عباد الشمس السكرانْ

٩. وأنا الرحالة في أجواء الآه،
أقيم خيامي النومية ما بين التنين وزادي
أو أحفر خندق أحلامي القمرية
ما بين العملاق وما بين وسادي !!
.... يا منطلقاً في فلك الشهب الحلزونيّ
حزيناً يا قلبي ؛
الناس تداري همّاً يحرق تابوت
الشعر وطين الحبّ ..
والمرأة تسبق خطوي ،
تتهم أنا شيدي ،
تتحدّى قبلي شدق التنّين
وتجمّ قبر جدودي بالرعب ...
المرأة تستشهد ، تعطي ،

وتفي بالنذر ،
ونحن هنا نقعد في خيمة ألوان الشعر
نداري الشمس المحدقة بنا ..،
بأيادينا المرتعشة ،
نتحاشى النور ودمدمة الأمواج
على شاطئنا ،
ونصلي لعبير خطاها ،
ولقعر الكأس المندهشة
... يا ربّ الأكواب ابعث فينا النشوة
حتى نسلو خوف ليالينا ؛
فلقد آمنّا .. أنا لا نعرف غير الخوف ،
فنسكر ناسين مآسينا !!
... وأنا العربيد الكهنوتيّ

منغمس في لجة نفسي وحدي
مابين الصّحب ،
أعاقر خمرتي النشوية في نسك الصوفيّْ ،
يقرع جمجمتي أحد الشرب
بنخب مبتكر فكريّْ !.
تتوهج في عينيّ فجاءه
ضحكة عربيد بوهيْ
فأسارع اغمض أجفاني في قهرٍ ،
أخنق قطعان دموعي ،
أجعل من صمتي للذل عباءه !
وأسافر عبر سراديب عروقي
ممتلئاً بحماس الهرب إلى أرض أخرى
انتجع مكاناً لا تشرق فيه الشمس ..

يرينُ عليه صمتُ ليليَّ .. أتعرَّى ،
لكنني ألبث أن أنسل من السرداب
الرطب ، وأمشي محنيَّ الظهر ،
لأبحث عن ظل ونديمٍ وشرابٍ
أستلهمه الشعرا !!
وأكتمُّ آهاتي في صدري ، أبكي في صمتٍ ،
خجلاً من أن ألمح في المرآة دموعًا في أجفاني ،
أتأمل مستقبلي الملويّ العنق بقعر الكأس
وأحكي للأصحاب القصص السكرى
أرفع كأسي مبتسمًا في حزنٍ :
نخب الصّمت الجارح يا أصحاب الموت المقبل ...
نخب البشرى !!



خطاب إلى الخاطئين

ترتمي روحي على شاطئكم محترقهْ
مثلما تسقط شمس قلقهْ ،
سقطت روحي على شريانكم كالعلقه
وحقول الموج لا تأبه ، تمضي
في مسار الشفقه
الرؤى مؤتلقه
و الضيا يحبو على خط العيون الشبقه
تتهاوى روحي الظمأى على شاطئكم

يا قنوات السنوات الصدئة

(... آه من ذات الرؤية !!)

يا عيوناً مطرقة

يا نهوداً عبقة

بلل البحر مشيْ

والوان المياهْ

رفة الأجفان تحت المشنقةْ ...

جسدي يمشي إلى خاصرة البحر الحزينْ

(وعلى عيني تمتد غشاوة

ملك الموت على رأسي هراوة

آه من كرّ السنين ...)

قبضتي بالرمل والماء على شاطئكم ممتلئة

كلما مدّ غريق يده المهترئة

امتلأت بالنار والرمل وأصداف الرياح المحنقه

(آه من مدٍّ ومن جزر البحارْ

آه من كر السنين ..)

استقبلوا يا إخوة النورس

يا سكان شطآن البحار النزقهْ

روحي العطشى، أدفنوها في الرمال الشبقه

كفّنوها بالصواري

والقلوع المرهقه.

هي ذي ضمت جناحيها، هوت مختنقه!!

... الرؤى معتمه

والصباحات عيون ضاحكهْ

وخيال الجبل العالي شبيه السمكه!

وأخي مبتسم في شفقه

غاص في أعماقه أعماقه بحاري الصدئة

ولأمي قصرها الشمسيُّ... لا تسكنه

غير ابتهالات الثقة !

إن أمي عرفت سر الليالي المشرقة

وابني الموسوم قدم إلى قاع البحار

يسبح الآن خلال الصمت محمولاً على جانح شمس صدئة

إن أختي هجرتنا

بحثت عن بيتها في مدفأة !

تتوارى تحت جلدي ألف فكرة

تختفي في عنقي سكين أمي ،

وأبي عاتبني في الحلم

جادت عينه بعد دهور بالمطر

أخضر من نظرته ضلعي وأزهر

نبتت ما فوق جذعي ألف زهرة

صار جسمي حقل قمح

صار صدري مقبرة

فهنا شاهدة ممسوحة

من زواياها حروف الفاتحة

وهنا قبر جديد سوره

تراب من جراحي نازفة

ولقد صارت ذراعاي ورجلاي شواهد

صار رأسي صدفة

صرت غيمًا ونجومًا

صار جسمي عربة

(... آه من نبع الحنين

آه من كر السنين ..)

وأنا منطلق في إثر تابوت هوى عينيّ وفرْ
انزلق التابوت في إثر الأنينْ
والخفافيش تبكي
والفراشات عيون مترقبه
... آه سدّوا درب هذا القدر
الهارب مني
أوقفوه قبل أن تنبت في جنبيه أرجلْ
قبل أن يورق أو يخضر أو في حفر الأحياء
يدخل
أوقفوا هذا الخطرْ
... سقطت روحي على حافته
انفتح التابوت من هامته
ملأ الذعر عظامي ...

صرت من نحو في مثل الخشبة
احترقت أطرا في الصفراء
شلت كل أصوات استغاثاتي
وأوغلت خلال الفلك المنطفئة
صارت الدنيا ظلاماً
صار جسمي فحمة مشتعلة
زحفت نحوي الوحوش الجائعة
واستضاءت في عيون القتلة!
لم تكن تجرؤ أرواح الظلام الظامئة
أن تعاديني فقد أهديتها في الظلمة المختنقة
(... آه من جسمي ومن نار احترا في الثملة
آه من أعضائي المشتعلة ...
آه من كرّ السنين)

إنني أحمل روحي عن شواطيكم

ولو صارت نثاراً من رمالِ

انني أمضي بجسمي عنكمُ نحو الجبالِ

فأنا أشعر أني اليوم عالِ

إنني أرحل في طائرة من ورد ..

حاملاً رائحة البحر وطعم القهوة المرة والملح

إلى أرض المُلالِ

فادفنوا أمواتكم يا خاطئينْ

انني صرت سحاباً صرت قبراً ، صرت تابوتاً حزين

صرت حقلاً ، صرت زهراً ، صرت ميزان النجوم الراحلة

ضعت عن أضوائها للقافلةْ !

إنني أمتد ، أمتد ، أغالي في انتشاري

إنني أورد ، أنساح أواري ...

بين أضلاعي نقوش الحجر !

إنني أوغل في نسغ غيوم الشجر

ها أنا أسري مع النسغ إلى أطراف أغصان السؤال

إنني أطعن صدري بالجمال

حاملاً دمعي على كفي وخرجي فوق كتفي ،

حاملاً موتي في عنقي سكيناً .. جريحاً بضلالي

ها أنا مندلع خارج ذاتي ..

أيها الريح خذيني ، احتملي آخر خطواتي يا أرض ..

اقذفيني في المدار

طوحيني في الفراغ اللانهائي

إنني أحمل زادي

أنذا منطلق نحو حدود العاصفة

وبكفي كلمة

تتلظى ،

آه إني كلمة

آه إني كلمة

لست شيئاً غير أني كلمة !!.

رقصة جنائزية

... ألضوء ، الموسيقا ، الألوان الداعرة ورائحة التبغِ
أنا وحدي ، وحدي ، وحدي !
ألضحك ، الرقص ، العربدة ، الهمس ، التمتمةُ .. أنا وحدي
منفيٌّ عن صمتي ... أدخل في أقبية النورْ !
أجتثّ الغربة من كعب حذاءٍ ، من شعر فتاة .. ديجورْ
من عزلة كأسٍ متروك في الظلمة ، من عقب لفافهْ
من زهرة فلٍّ تذبل في العتمه
من معطف فروٍ ملقى في الممالِ فوق الكرسيِّ ،

أرى وجهك قرب المصباح المشنوق على زاوية خجلى ..
يتهددني .. فأرى الموت حواليه هالة
تضحك لي عيناك ، الموسيقا تطمس صوتك ، فأرى تحريكة
شفتيك اليابستين و .. ارتجفُ
وأمدُّ يدي نحوك محترقًا بالخوف وبالشوق .. فأنصرفُ !
خلفي الموسيقا ، الضحك ، الرقص ، الضوء ، الهمس ،
يلوح لعينيَّ المتعبتين جبينك .. للألوان الماكرة ..
الضحك ، الموسيقا ، نقر الطبل ، العربدة ، دخان التبغ الكسلان
الرقص ، التمتمة ، الدمدمة ، العربدة .. أنا
وحدي ، وجهك ، عيناك وحزني ، وحدي ، وصنوج
تزأر ، همسك ، عيناك ، جبينك ، وحدي ..منفيٌّ عن صمتي ...
موسيقا ، غجر ، رأسي يزدحم بنقر الأقدام ، بتلويح الأيدي
بالزمجرة ، الغضب ، الشوق يهرول حولي ؛ قدامي خلفي ..

آه .. وحدي ، وحدي .. غيلان تصنو ،

ألموسيقا ، لأقدام ، لألوان ، الهمس المحموم ، التبغ ،

الخمرة ، وجهك .. صوتك يعلو ، أهم ، الضوء ، الفلة

نائمة .. عقب السيجارة ينطفئُ ..

قعر الكأس حزين .. كأسي ينكفئُ !

وحدي ، وحدي ، أتحامل ، أمشي ، أرتطم بصدر ، جفن

يخمشني ، تتلقفني كفٌّ ، أعدو في غور مكاني .. انكفئُ ..

صوتك ، همسٌ ، ألموسيقا ، رقص ، ضحك ، ألوان

تتخاطف ، زوبعة الألوان تغني ، ترقص ..

أجلس في قاع العزلة ، أحمل - أسي بين يديَّ ، أقاوم

خوفي ، في الزحمة .. أنجرفُ .

المصباح المشنوق يناوئني ، يتضاحك من قلقي ،

المصباح المحمر العينين يناكفني ، ترمش عيناه ، تدلى المصباح :

ينوس ، ينوس ، وجمد ، يحترقُ
وأنا .. وحدي ، وحدي ...
صوت أهوّم ، والأشياء تدور ، تدور ، الموسيقا
تجمد ، وقع الأقدام حزين ، تهدأ زوبعة الألوان ،
تفيق الفلة ... عقب السيجارة ينسحقُ
... وأنا وحدي ، عاد إليّ الصمت ، الحزن ، التعبُ
أفتح جفني المتعبتين .. فأرتعبُ
لا يبدو لي وجهك في هذي الزحمة ، غادرني همسك
جف الصخب ...
جاء التعبُ !!

(١) نشرت بعنوان « الجيل الطالع »

أشكر الصديق الفنان نذير نبعة فقد قدّم لي
هذه اللوحات المعبّرة عن شعري بعمق .
والصديق محمد قنوع الذي ألبس الشعر
هذا الخط الجميل .



الفهرست

